

وداعاً للمسافات

بقلم : ريتشارد باخ

ترجمة : عزة حسين كبه

الصور : رون ويغان

وداعاً للمسافات

There's No Such Place As Far Away

بقلـم : ريتشارد باخ
ترجمة : عزة حسين كبه
الصور : رون ويغان

وداعاً للمسافات

تبـدأ في قلب الطـائر الطنان لكشف الحقائق التي عرفهـا دومـاً . . عن الصـداقـة والحب، عن النمـو والوجود في مدى الحياة . ورحلة المعرفة هذه تستطيع أن تأخذك الى أي مكان تشاء، ومقابلة من تشاء .

أولئـك الـذين حلّقـوا مع النـورس جونـاثان سوف يجدون ضالتهم هنا .

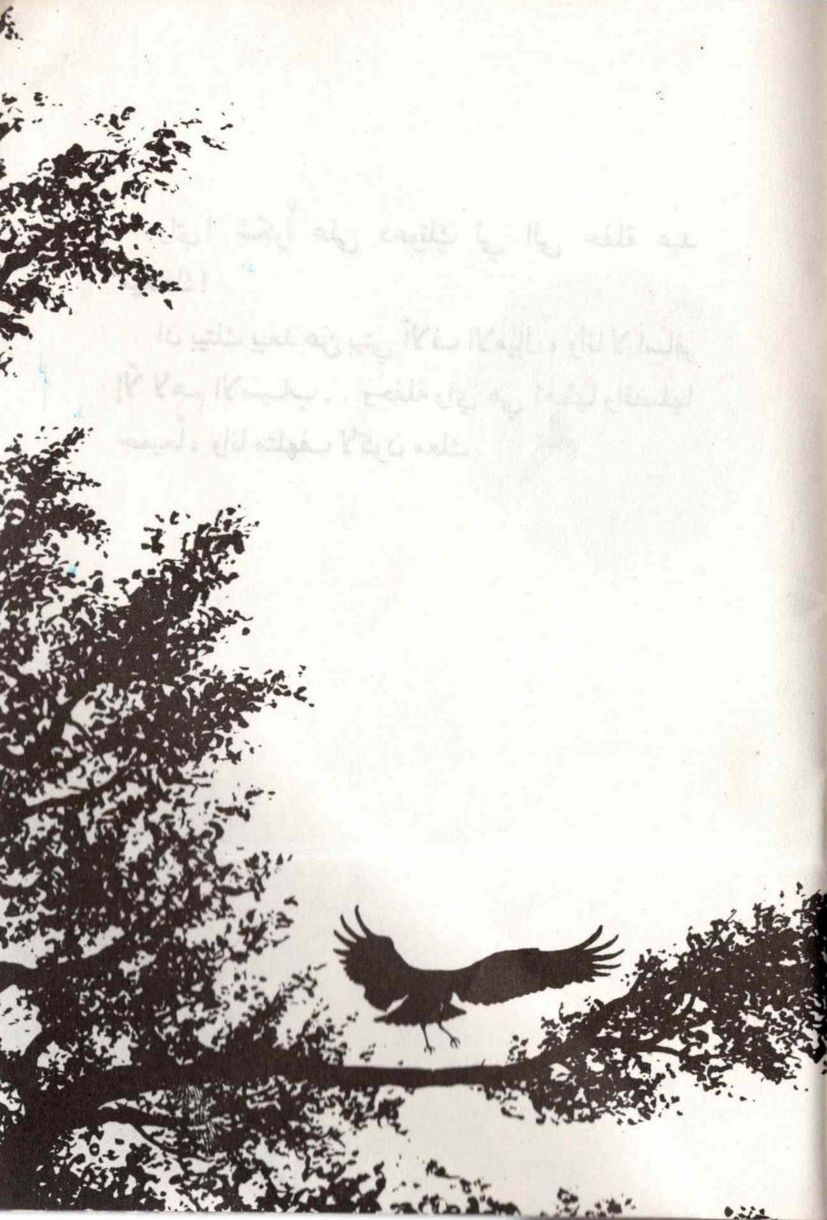
والى المحبـة والصـداقـة التي لا تعتمد على وقت محدد ولا على مكان معين، نهدي هذه المشاعر الحلوة .

***

ريتشارد باخ

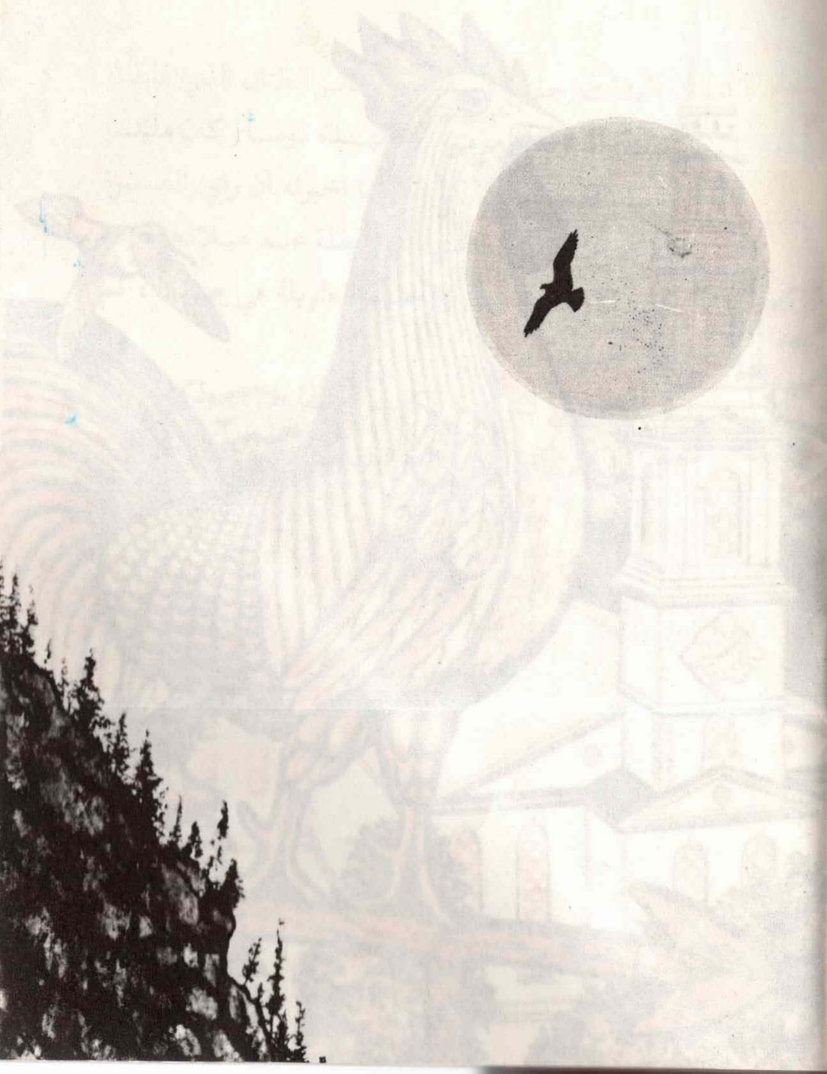
ربـان طائرة اعتيادية وشراعية معظم حياته ، وكاتب لستة كتب أخرى .





راي! شكراً على دعوتكِ لي الى حفلة عيد ميلادك!

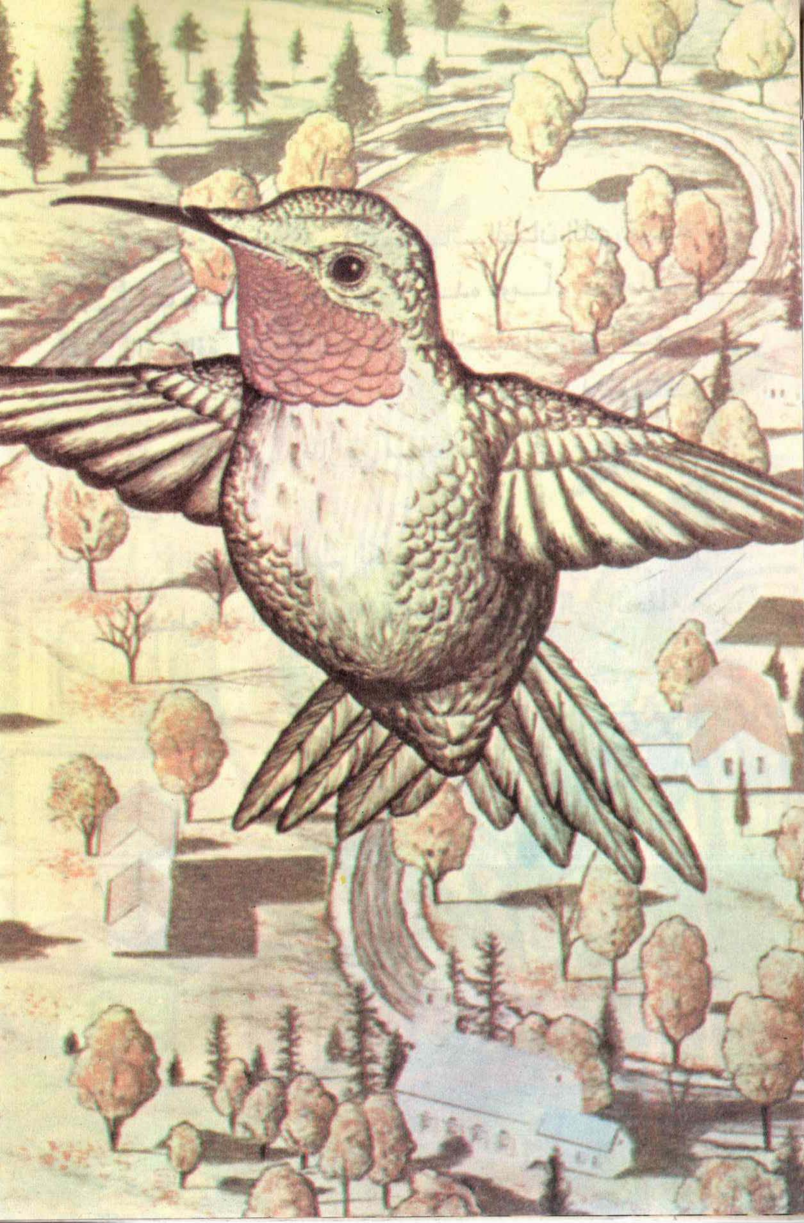
ان بيتك يبعد عن بيتي آلاف الاميال، وأنا لا اسافر إلّا لأهم الاسبـاب . . وحفلة راي هي اهمها وافضلها جميعاً، وانا متلهف لأكون معك .

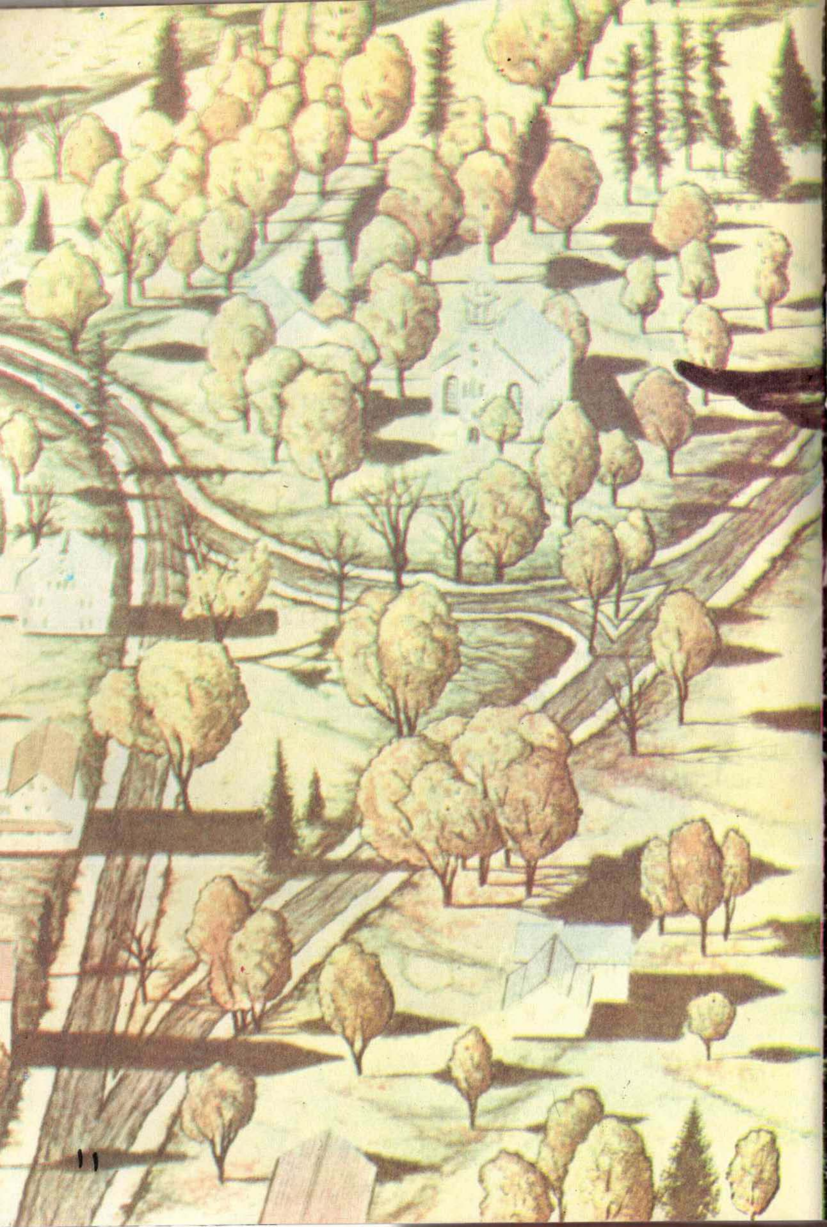




بدأت رحلتي في قلب الطـائـر الطنان الذي قابلناه أنـت وأنــا قبــل زمن. وكعهــده دومــاً، كان مليئــاً بالصداقة، ومع ذلك، فعندما اخبرته ان راي الصغيرة قد كبـرت، واني ذاهب الى حفلة عيـد ميـلادها، بدا عليه الارتباك. وطار بي مسافة طويلة في صمت، ثم قال أخيراً:

« انـنـي لم أفهم الكثيــر ممــا قلت، ولكن ما لم استطع أن أفهمه أبداً هو انك «ذاهبٌ» الى الحفلة.





بالطبـع أنـا ذاهب الى الحفلة، قلت له: «ما وجه الصعوبة في فهم ذلك؟»

مكث هادئاً، ممسكاً عن الكلام.

وعندما وصلنا الى بيت طائر البوم، تساءل في هدوء:

«هـل حقـاً تستطيـع الاميـال ان تفصلنـا عن اصدقائنا؟ ان كنت تريد أن تكون مع راي، الا يعني ذلك انك معها الآن؟»

* * *



«راي الصغيـرة بدأت تكبـر، وأنا ذاهب الى حفلة عيد ميلادها احمل لها هدية» قلتُ لطائر البوم.

بدا لي استعمـــالي لكلمـــة «ذاهب» غريب بعـــد حديثي مع الطـائـر الطنان؛ لكني قلت ذلك ليستطيع طائر البوم أن يفهم.

هو الآخـر طار صامتـاً اليفاً، ولكن عندما أوصلني بســلام الى بيت النســر قال: «اني لم أفهم إلا القليـل ممـــا قلت، ولكن ما لم أفهمـــه أبـــداً هو تسميتـــك لصديقتك بـ «الصغيرة»».

***





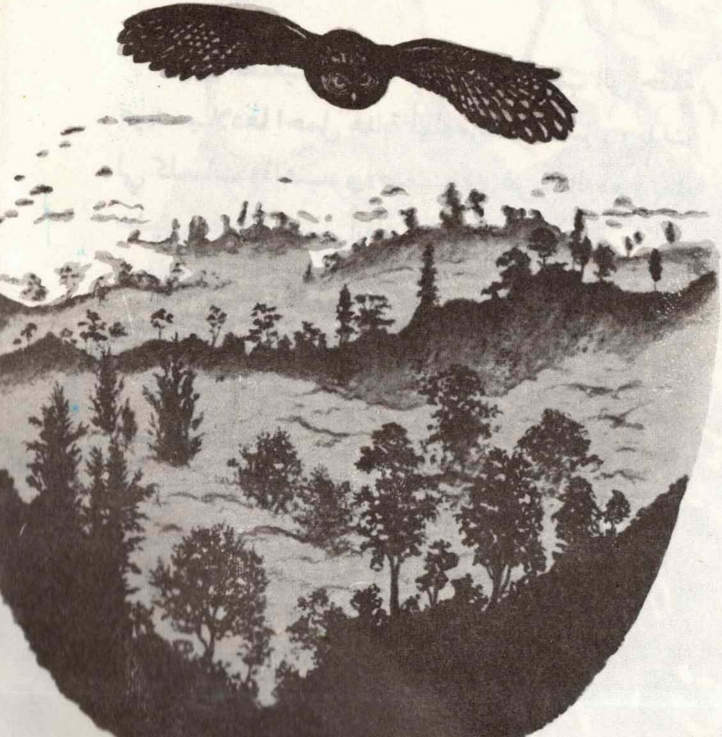


« هي بالطبـــع صغيـــرة » قلت له ، «فهي لـم تكبـر بعد . ماوجه الصعوبة في فهم ذلك؟ »

نظر الي طائر البوم بعينيه الكهرمانيتين العميقتين ، ثم ابتسم وقال :

« فكر ملياً بذلك » .

* * *



« راي الصغيـرة بدأت تكبر، وأنا ذاهب الى حفلة عيـد ميـلادها احمل هدية لها»، قلت للنسر. وبدت لي كلمـات «ذاهب» و «صغيـرة»، غريبة الوقع، بعد حديثي مع الطـائـر الطنـان وطـائـر البـوم. لكني استخدمت هذه الكلمات كي يستطيع النسر ان يفهم.

واصلنا طيراننا معاً فوق الجبال، وسابقنا الرياح. أخيراً قال النسر:

« أنـا لم أفهم إلا القليـل ممـا قلت، ولكن ما لم أفهمه أبداً هو كلمة، عيد ميلادها».

* * *





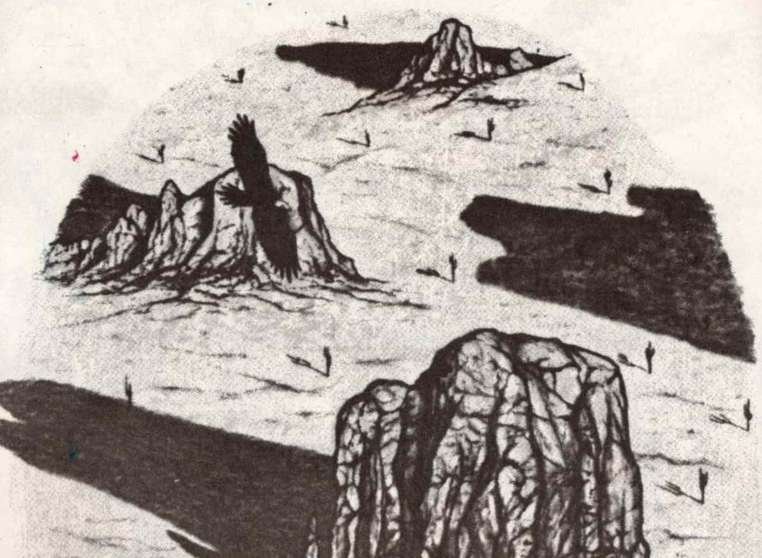


« عيـد ميـلادها طبعاً قلتُ موضحاً «سوف نحتفل ونستعيـد السـاعـة التي ابتدأت فيها راي ؛ فقبل تلك الساعة لم تكن راي موجودة . ما هو وجه الصعوبة في فهم ذلك؟ »

طوى النسـر جنـاحيـه ، وهبط هبوطاً عمودياً حتى لامس الرمال الصحراوية ملامسة رقيقة ، وتساءل :

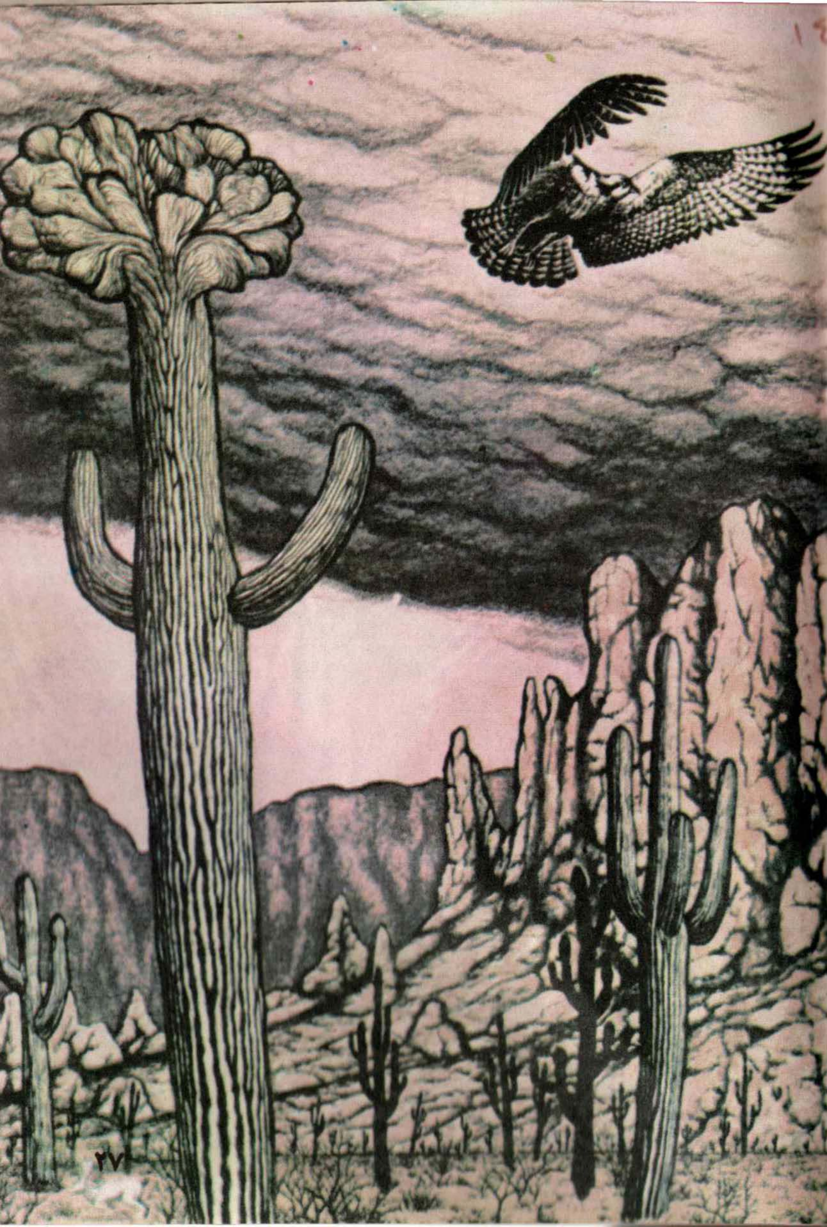
« وقتٌ قبـل أن تبـدأ حيـاة راي؟ ألا تعتقد ان حياة راي هي التي كانت قبل أن يوجد الوقت؟؟ »

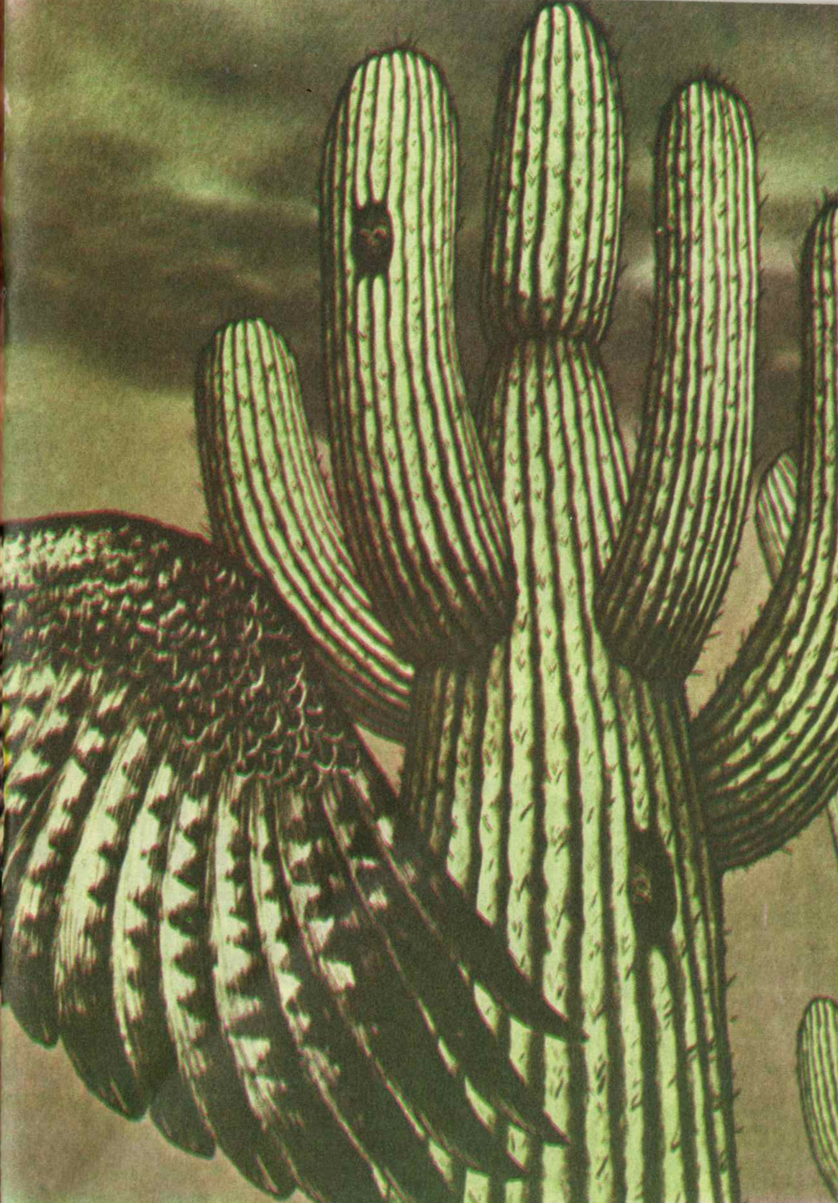
* * *

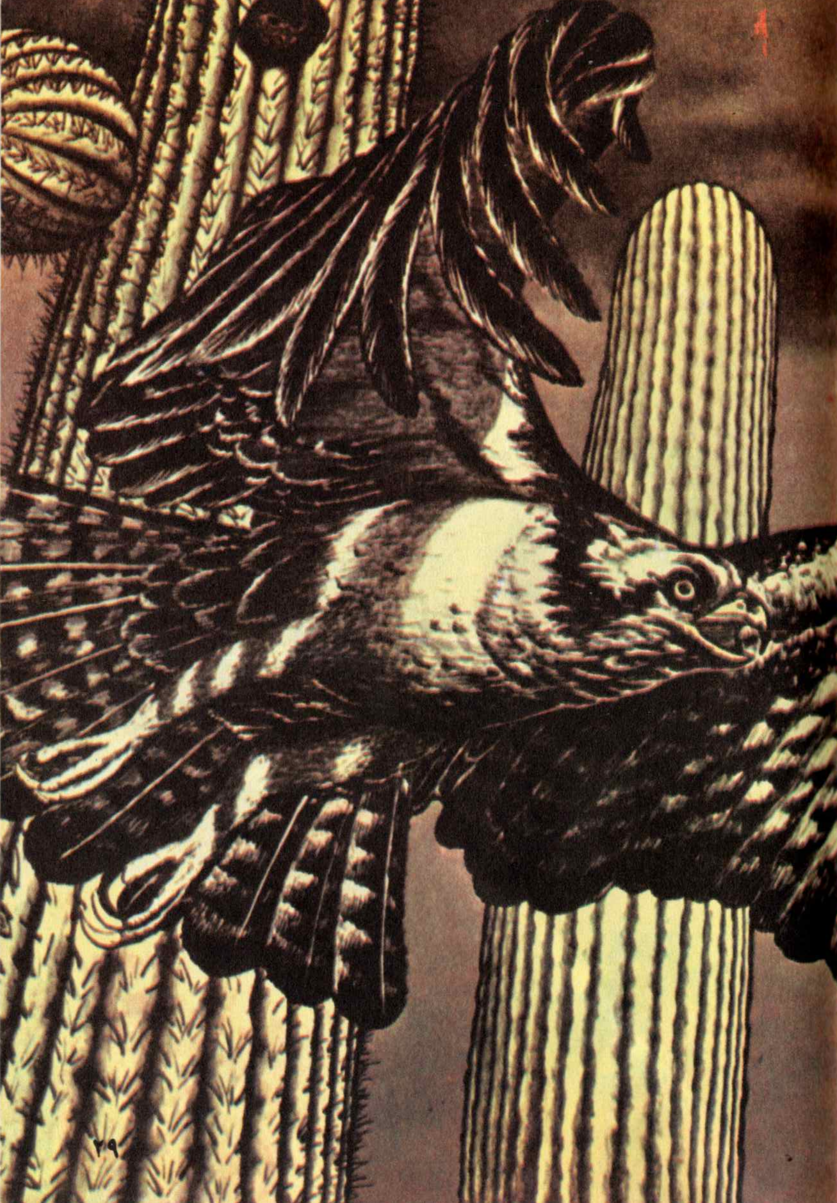


« راي الصغيـرة بدأت تكبر، وأنا ذاهب الى حفلة عيد ميلادها احمل لها هدية»، قلت للصقر. وبدا لي استعمـال كلمـات (ذاهب) و (صغيـرة) و (عيـد ميلادها) بعد حديثي مع الطائر الطنان والبوم والنسر. لكني قلت ذلك ليستطيع الصقر أن يفهم ما أعني.

امتدت الصحراء شاسعة من تحتنا، ثم قال الصقر أخيـراً: «هـل تعـلم، انني لم افهم ممـا قلت إلا القليل، وما لم أفهمه أبداً هو هذه العبارة «بدأت تكبر» !







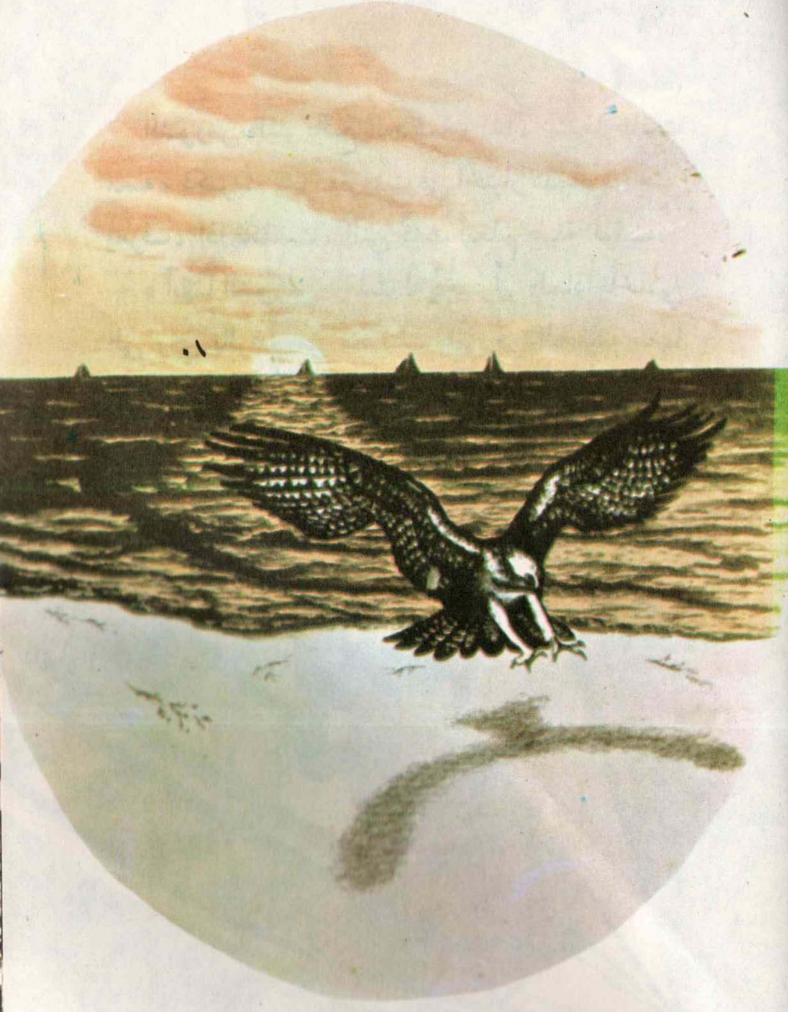
« بالطبـع انهـا بدأت تكبر» قلت موضحاً «ان راي الآن أقرب سنة الى النضوج بعد ان ابتعدت سنة عن الطفولة. ما وجه الصعوبة في فهم ذلك؟»

هبط الصقر أخيراً على شاطىء مهجور وقال:

«ابتعدت سنة أخرى عن الطفولة؟ هل هذا هو النضوج؟؟»

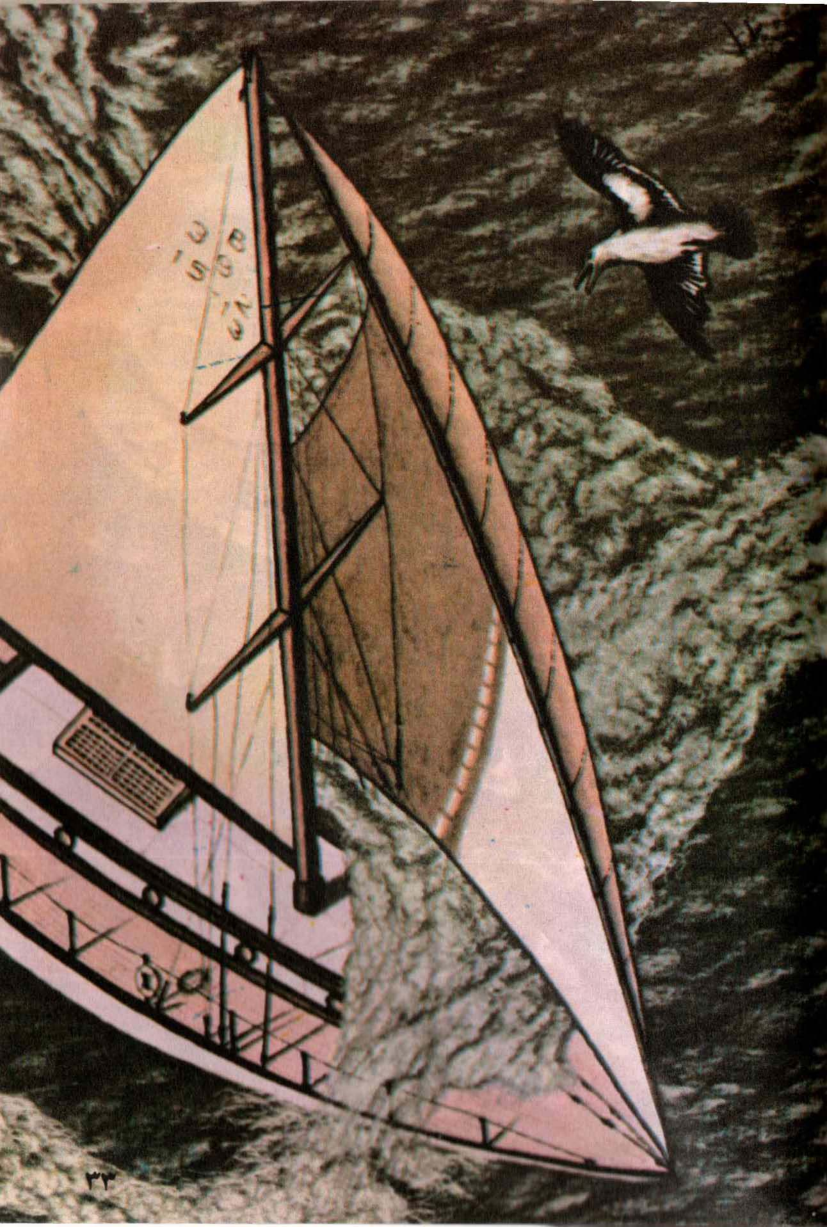
ثم ارتفع عالياً، واختفى.

***

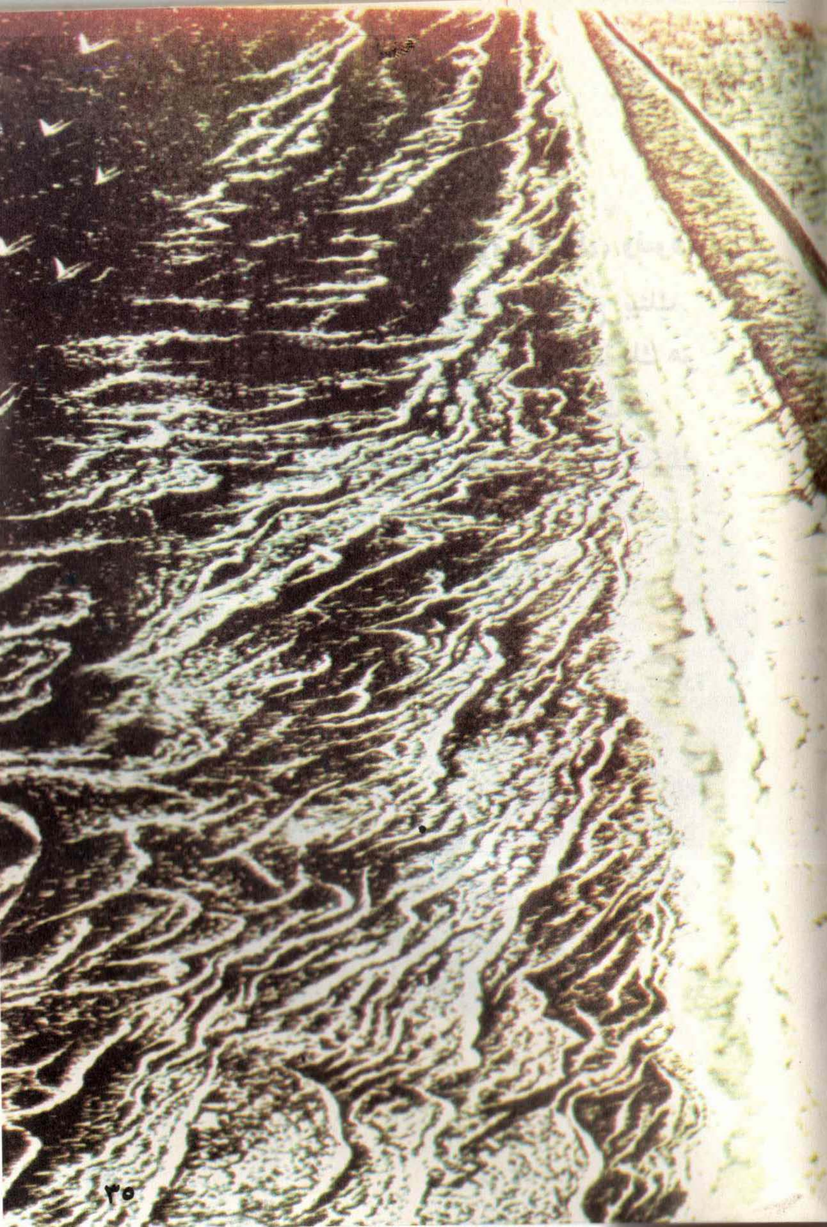


النـورس طيـر بالـغ الحكمة، لذا، عندما حلقت معـه، فكـرت كثيراً وتريثت في اختيار كلماتي، حتى يعرف، اذا تكلمتُ، انني كنت أتعلم طيلة الوقت.

« أيهـا النـورس » قلت له أخيـراً. «لماذا تأخذني الى راي بالرغم من معرفتك باني في الحقيقة معها الآن؟».







طار النـــورس فوق البحـر، فوق التـلال، وفـوق الشوارع. وفي هدوء واتساق هبط على سطحِ بيتكِ.

« لأن الـشيء المهم والاسـاسي بالنسبـة لك هو ادراك تلك الحقيقة» ردد النورس، ثم اضاف،

« وحتى تعـرفها، حتى تدركها بعمق تام، يمكنك فقط التعبير عنها بوسائل أخرى، بسيطة، وبمساعدة خارجية تأتي من مكائن أو أشخاص أو طيور».

صمت لحظة واضاف أن

« عدم معرفتها، لايمنع الحقيقة من كونها موجودة فعلاً».

ثم ارتفع محلقاً، مختفياً وراء الافق.

* * *



« والآن، جاء أوان فتح هديتكِ» .

الهـدايـا المصنوعة من معدن وزجاج تستهلك في يوم وليلة، وتبلى .

أما هديتك، فانها أحلى وأروع ،

انه خاتم لك تلبسينه

انـه يلتمـع بنور خاص، ولا يقوى أحد على أخذه منك، أو تحطيمه .

انت الـوحيـدة في العالم كله لك القدرة على رؤية الخـاتم الـذي اعطيه لك اليوم؛ كما كنتُ الوحيد في العالم كله القادر على رؤيته عندما كان معي .

* * *

هذا الخـاتم يهبـك قوة متجـددة ، فعنـدما تلبسينه تصبح لديك القدرة على رفع نفسك على أجنحة كل الطيـور التي تعـرف الطيران ـ يمكنك الرؤية بعيونهم الـذهبية ، يمكنكِ ملامسة الريح التي تمس الاجنحة المخمليـة النـاعمـة ، يمكنـك معـرفة بهجة الارتفاع عالياً فوق العالم ، وفوق كل أحزانه .

ويمكنـك البقـاء في السمـاء لأيـة فتـرة تشـائين ، خلال الليـل ، وعبـر شروق الشمس . . ثم عنـدمـا تشعرين برغبة في العودة الى الارض ثانية ، ستجدين ان جميع أسئلتك قد وجدت اجاباتها ، وكل أحزانك قد مضت الى غير رجعة .

***

وشأن كل شيء لا يلمسُ باليـد ولا يرى بالعين ، فان هديتك تصبح أكثر قوة مع استخدامك لها .

من المحتمل - في البداية - أن تلجأي اليها فقط عندما تكونين في الهواء الطلق ، تراقبين الطير الذي تشاركينه الطيران . ولكن ، فيما بعد ، وكلما ازدادت مهارتك ، فسوف يصل تأثيرها تلك الطيور البعيدة عن ناظريكِ .

* * *

بعد ذلك، لن تكوني بحاجة الى خاتم ولا أي طير يأخذك للتحليق فوق بساط الغيوم.

ومتى جاء ذلك اليوم، عليك تقديم الخاتم الى من يحسن استخـــدامــه، ويمكنـه ان يتعلم ان الاشيـاء المهمة الوحيدة في الحياة، هي تلك التي نصنعها من الصدق والفرح، وليس من معدن وزجاج.

* * *

راي، ستكون هذه آخر مرة أزورك فيها في مناسبة خاصة اثناء السنة، بعد ان تعلمتُ من اصدقائنا الطيور.

لن آتي لزيارتك، لاني في الحقيقة معك.

أنتِ لست صغيرة، بل ناضجة وكبيرة تمرحين في آفاق عمرك منذ الازل، كما نفعل نحن احتفالاً بروعة الحياة وبهجتها.

* * *

ولن يكــون لك يوم ميــلاد، بل عشتِ دومـاً. لم تولـدي، ولن تموتي. وأنتِ لستِ طفلة لمن تدعيهم بامـكِ وأبيـكِ، بل أنت صنـو لهمـا في رحلة مضيئة لفهم الاشياء الحقيقية الرائعة.

***



كل هديــة من صديـق هي أمنيــة لسعــادتــك ، وكذلك ، بالنسبة للخاتم .

حلّقي حرة سعيدة الى ما وراء أعياد الميلاد ، وعبر الازل . وســوف نلتقي بين حين وآخــر ، عندما نشاء ، في غمرة الاحتفال الوحيد الذي لا ينتهي أبداً .

***

« هل تستطيع الاميال ان تبعدنا عن اصدقائنا حقاً ؟ إن كنت تريد أن تكون مع من تحب، الا يعني ذلك انك معه في الحقيقة ؟

مطبعة الراية ـ بغداد ـ هاتف : ٨٨٧٨٣٥١

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية ببغداد (٧٩٥) لسنة ١٩٨٧